العدد 1998 - السنة السابعة
الجمعة 7 محرم 1436 - الموافق 31 أكتوبر 2014
Friday 31 october 2014 - No.1998 - 7th Year

الشاعر عمري الرحيل - إطلالة على فكر الإمام عبد القاهر الجرجاني

■ اعتبر الامام عبد القاهر الجرجاني الإعجاز في القرآن الكريم عائد إلى قوة نظم القرآن وانتظام تأليفه وصياغته، ومن ثم حاول تطبيق هذا الرأي على الشاعر العربي مؤكدا ان الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ولا من حيث إن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة بمعنى التي تليها وهذا ما اعتبره بالنظم او التأليف وهو القائم على تناسق دلالات الألفاظ وتلاقي معانيها على الوجه الذي يقتضيه العقل، ثم أخذ يضرب لنا الأمثلة من القرآن الكريم والشعر العربي وقد ذهب في هذا المجال مذهبا عظيما أكسب كتابه «دلائل الإعجاز» أهمية كبيرة عند دارسي البلاغة العربية بالإضافة إلى كتابه الآخر «أسرار البلاغة» وبما أن الشاعر الشعبي جدول تفرع من الشعر الأصيل وكون النقد مشروع ثقافي متكامل بالإمكان ان نرى بصماته على الشعر والرواية والفن التشكيلي، وبقية الفنون الأخرى بما فيها الشعر الشعبي الذي يعتبر وجها آخر من أوجه الشعر الفصيح أو جدولا تفرع منه حيث نستطيع ان نلمس اثر الفكر والثقافة من خلال بعض النماذج الشعرية الحديثة، فقيد عاقت مثلا نرى كما هائلا من المشاهد السينمائية والصور الحية التي تتحرك امامنا على الورق فتحلق في سماء الفكر وتكسر إطار الكلمات وتهشم براويز القصائد وتبحث عن عوالم أخرى قد يكون قيد عاقت نفسه لم يفكر بها وكذلك الشاعر صالح الظفيري الذي حضر النهجة البدوية واعاد توظيفها من جديد وليس بعض المفردات العامية القديمة او شبه القديمة رداء العصر ونفخ فيها من روح الثقافة الشيء الكثير والشاعر عمر الرحيل تعامل مع إمام البلاغة العربية وكأنه أحد طلابه حيث أبدع بطريقة النظم وفن الصياغة عندما عمق اللهجة وكسر الحواجز النفسية بيننا وبين المفردات العامية المتداولة في الشوارع ووضعها في نسق تتابعي معين، لقد وصف هذا الشاعر في مقال نشر للشاعر بعنوان «والقلم وما يسطرون» في إحدى أعداد الغدير قبل أن تحتجب عن الصدور، حينما وصف الشعر بأنه عامل صوتي يستثيره الشاعر للبرهنة على مزيد من الحب او الخوف ولكن عمري في الحقيقة تعامل معه بطريقة مغايرة تماما لما ذهب إليه حيث كان الشعر عنده عامل للبرهنة على مزيد من الإبداع الفني والتقنية الشعرية الحديثة ولكي أكون صريحا ومقنعا للتدخل سويا الى ساحة عمري الرحيل الشعرية، وأول البدايات ستكون مع هذا الكلام البسيط جدا والذي يعتبر من أحاديث العامة في الأسواق والشوارع أو في أزقة الأحياء الضيقة ولا نستطيع ان نتخيله في عملية شعرية راقية إلا عند هذا الشاعر ومن اوضح الدلالات هذا الكلام البسيط في شكل مثير للاشمئزاز «بلها واشربها» وهو كلام مضحك إذا جاء على هذه الشاكلة ويخجل بعض الناس في ترديده في أغلب الأحوال، ولكن الشاعر عمري الرحيل يقول بكل ثقة بالنفس وبأسلوب فريد وطريقة مختلفة ترقى بنا إلى مراتب الإبداع الفني الأصيل.

يا عيوني إنتي وش تبين بوجمنا

بلى جميع أخبارنا واشربها

نعم... هنا يكمن الإبداع، الذي نستطيع من خلاله التميز بين الحجر الكريم وبين ما سواه، لأن هذا التعامل البديع أضفى على هذه المقولة بعداً فنيا أكسبها فرصة العلوق في الذاكرة كمشروع إبداعي جميل بالإضافة إلى هذه التقنية الشعرية الرائعة باستخدامه لهذه المقولة التي اشتهرت في مداولات أحاديث الجنس الآخر، وهن الفتيات «يا عيوني» وهي ميزة تحسب للشاعر لأن اثناء الكتابة الشعرية الحقة والخالصة لوجه الإبداع تذوب جميع الفوارق الطبقية بين البشر فالأمور إذا تشعبت على المدى البعيد والطويل سوف تلتقي عند نقطة واحدة، هذه النقطة الغائرة في مجاهل العقل الباطن وقف عندها الشاعر لينطلق بهذا التعبير الإنساني المجرد وهي نقطة امتزاج يطمح إليها جميع المحبين في هذا العالم.

ثم يأتي الحديث عن كلمة «يسفط» هذه الكلمة التي ترددها الجماهير الغاضبة على أنظمتها الديكتاتورية وهي كلمة ذات بعد سياسي ومدلول حزبي معروف ولكن الشاعر عمري الرحيل أعاد توظيفها من جديد وألبسها ثوبا يختلف عن ثوبها المعهود وأدخلها في مجال الغزل بلغة فنية رائعة جعلت اكثر الحكام غطرسة يبتسم سرورا

■ محمد مهاوش

وإعجاباً عند سماعها إلا ان هذه الكلمة جرت معها زفير الغضب وضجيج الاحتجاج الصارخ لا على سيادة الحاكم بل على حضرة جناب المحبوبة.

صحت من غل يستحذ خالها وعمها

ماقرتلي وانا دوبي لهجيتها

يلاحظ من كلمة يسقط انها لم تأتي للدلالة على الاحتجاج بمفردها بل سبقتها «صحت – غل» ولا ادري هل كان الشاعر مهتما بهذا التوظيف الاحتجاجي ام ان الكلمة فرضت عليه أشياء لم يكن بمقدوره إخفائها؟ ومهما تكن الإجابة فإننا نلمس ذلك الزخم الهائل من الغضب الذي كمن في مشاعره كالجمر تحت الرماد والذي لم يكن مجرد صراخ احتجاجي عابر، بل تبلور في صورة واضحة من خلال قوله «يسقط» في محاولة منه للقضاء على جذور الجوية.

لا متى وانا اتعلق بسرجك حولي

شاعرك راعي بساطة وحسنك هوله

يشاهد القارئ المنعم لهذا البيت، عملية ربط بين كلمتين تبدوان متناقرتين «راعي بساطة» وهي عبارة غير متداولة في الحديث اليومي العتاد او الثقافي المرموق كما انها تنفر منه الأذن وتأباها النفس إذا جاءت على هذه الصورة ولو حاولنا لمس ابعاد هذه العبارة نرى ان محبوبة الشاعرة مهرة اصيلة وذلك

■ عمري الرحيل

واضح من قوله «سرجك» او انها فتاة منعمة وارستقراطية لأن السرج من علامات العلو والارتفاع وهو في طبيعة الحال التقيض لكل إنسان فقير او شبه معدوم او كما اراد ان يصف نفسه «راعي بساطة» ولعله يقصد من بساطة الفراش الملتصق بالأرض او الأرض نفسها وهي ابسط ما يدعى الفقير امتلاكا، يقول جبران في قصيدة المواكب:

هل فرشت الأرض مثلي

وتلحفت الفضا

إلا ان الفرق بين الشاعرين واضح فبؤس جبران أزلي دائم وذلك لاستخدامه الفعلين الماضيين «فرشت، تلحفت» اما بؤس عمري الرحيل جامد لأنه استخدم اسمين متتالين «راعي وبساطة» والأسماء توحي بحالة الجمود، وقد يكون هذا الاستخدام نابع من حالة جنوح الفقر على نفس صاحبها ولكن الشاعر استطاع تحطيمه لأن من السهل كسر الأشياء الصلبة وتهشيم الأطر الثابتة وذلك واضح في اخر البيت عندما استخدم الفعل الماضي «هوله» وهذه الصورة تعكس حالة الصراع الأزلي بين الإنسان والفقر.

وتعود إلى العبارة التي انطلقنا منها للمس هذا التوظيف الرائع وهذه الصياغة البديعة بين هاتين الكلمتين وهذه روعة الإبداع انك تأتي بكلمات غير متناسقة إذا تركت وحدها بلا انيس لغوي ثم أعدت من تركيبها بشكل رائع حتى لو حاول الآخرون من بعدك الإتيان بمثل ما أتيت به لوقفوا عاجزين وهذه هي روعة النظم التي تكلم عنها الجرجاني في كتابه الفريد

والليل هذا من حيا الوجه مغسول

سوالفه بالعين ما يختصرها

هذا «الوجه مغسول» قول عامي بسيط ومثير للنفور والاشمئزاز في نفس الوقت يردده أبسط الناس وعيا ثقافياً وهو كلام يكاد يكون في حالة لا يرثى لها من البساطة المتناهية إذا جاء على هذه الشاكلة، ولكن قوة النظم وطريقة الصياغة التي تميز بها الشاعر، أضفت على الكلام العامي قبول في النفس وتهذيب وفوق ذلك كله روعة جعلتنا لا نخجل من ترديده وقراءته ولعل الشاعر كان يعي ضرورة هذا التخلص من هشاشة هذا الكلام لذلك قام بهذه التقنية الشعرية المحكمة والرائعة حيث قام بتكثيف المعنى في هذا البيت الذي أمامنا وأعطى الليل افقا آخر يختلف عن مفهومه المعروف او كونه خيمة تظلل العاشقين عندما اعتبره علما من أعلام الظلم.

يتواصل مع الحديث عن هذا الجانب، فتواجهنا «وراس امي وابوي» وهذه الجملة عبارة من عبارات القسم التي كنا نرددها ونحن أطفال صغار والتي اصبحت من تركة الماضي البعيد الذي يخجل بعضنا من مجرد النظر إليه او حتى الالتفات لما في هذا القسم من مخالفة للدين، وهو في طبيعة الحال حديث أطفال ونظرا لأن الأدب ليس له علاقة في الدين نرى أن هذا الفهم الراقي لدى الشاعر بطبيعة الأدب والشعر على وجه الخصوص، حيث أعاد توظيف هذا القسم الطفولي والبسه رداء المهارة الإبداعية وابهة الشعر الجميل وادخله في باب من ابواب الغزل الممتع والحديث الشعري الأنيق.

تحلف وما تقول الا وراس امها

للملأ شرّت جروحي وكفيتها

عندما اقف على هذا الكلام لا أجد من تعبير يفي هذا البيت حقه من الإعجاب إلا نقل قول الإمام عبد القاهر الجرجاني «هذه جملة لا تزداد فيها نظرا إلا ازددت لها تصورا وازدادت عندك صحة وازمت بها ثقة، وذلك انني وجدت قول الإمام الفقيه والبلاغي العتيد خير من عبر عن أمثال هذا الكلام، ومنحه ما يستحق من تبجيل وإشادة

عندما نتواصل في هذا المضمار نجد ان جهد الشاعر عمري الرحيل لم يقتصر على قوة الصياغة وحبكة النظم ومتانة التأليف التي أفاض الحديث عنها الجرجاني فقط بل أعاد إلى الذاكرة لفظة كنا نسيناها أو هجرها الشعر على الأقل في زمن التكالب وراء العبارات الرنانة وهي كلمة «إفا» الدالة على التحسر والأسف ولم يكتف الشاعر بمجرد الإتيان بها فقط بل أعادها بقوة ووضعها بإحكام حتى لو حاولنا حذف هذه الـ«افا» لفسد علينا البيت وذهب جماله وكان كالجنين المشوهة

افا: والشوف خان ومرت قبور تجر قبور

يشردها السكون وصار أعمى قاد متعامي

أعاد هذه اللفظة إلينا بهذه البيت الجميل بطريقة نظم محكمة ليسهل علينا عملية الاستمتاع بالشعر البعيدة عن التكلف.

من خلال هذه الجولة يتضح لنا أسلوب الشاعر المتميز وطريقته الفذة في تعامله مع الشعر فهو يختار أوزانا متميزة لها بريق معدني جذاب وقافية اكثر جاذبية وصياغات شعرية فريدة، بالإضافة إلى أن تراكيبه اللغوية مركبة بأسلوب هندسي بديع وذلك أن عمري الرحيل يتعامل مع النص كمشروع ثقافي حضاري اكثر وعيا ونضجا من كثير من الشعراء

واخيرا... أود ان اقول إذا كان الجرجاني أجرى عملية النظم على القرآن الكريم وهو ثم مررها على الشعر العربي في زمانه وأفاض بالحديث عن هذه الرؤيا النقدية الرائعة فإن الشاعر الشعبي عمري الرحيل في مجال الشعر الشعبي، فقد استفاد من هذه النظرية بقصد او بدون قصد لأن الشعر الحقيقي ما هو إلا صراع مرير في قاع العقل الباطن لا يستطيع الشاعر نفسه تفسير ما يجري بداخله من تفاعلات نفسية اثناء عملية الكتابة وقد تلتقي الآراء وتتداخل المذاهب عبر مسافات السنين دون ان يعلم بها اصحابها.

محمد مهاوش الظفيري

الغربه وطن

الوطن لو كان ما عنه بديل
أجمع شتاتي وأسوي لي وطن
وأنت مهما غبت يا أصدق خليل
من أمل ذكراك أخيط لي كفن
وان غيابك في متاهات الرحيل
يجعل حروفي تصيح وتستجن
أنت لو تدري بغلاتك ياجميل
تشعل شموع الغلا مهما طفن
الدموع تطيح من قلبي وتسيل
والزمن حراس وعيوني سجن
والرموش أسوار قاضبها نحيل
يرتجي غاليه في أيه ثمن
وأنت تدري ياعسي عمرك طويل
أن عيوني من غيابك أكتفن
أرجع لعيني قبل تلقى قتيل
وأعطف بقلبي قبل لا تسرقن
العمر لو كان ماضيه بخيل
القدر بكرى مصيره ينصفن
الوكاد أفرح ولك صاحب أصيل
ينتظر مهما ظروفه تمتحن
وكان صارت رجعتك لي مستحيل
أجمع الغربة وأسوي لي وطن

فيصل العذم

«سكر قصب»

شل فاسك/ تمعن شوف ما من حطب
غير ضلعي اسوق الله عليك احطبه
كان بردان.. خذ جمرة شعوري لهب
صبّ، عامر، ف كاس الثغر ثم اشربه
ليه خايف/ ترى ما في احتراقي تعب
احترق لك..واصنع من رمادي شبه!
قلت، اوصفك لا يا «حب» لا تكتئب
كل شي احبه فيك بأحببه
شف رموشك عناقيد وعيونك عنب
حبتين وعصرهن شوف جيت اسكبه
شف خدودك مدائن، حب خالك عرب
تستفز البياض بصمت.. ثم تسلبه
شف شفاتك مدينة ورد فيها شغب
كل حرف بغى يطلع تجي تصلبه
كل ماي ف شفاتك صار سكر قصب
رش سكرك قبل الناس لا تنتبه
انت مثل السجين ف عرق دمي هرب
يهرب اكثر من اول لا بغيت اقربه
انت تسكت وعارف ان سكوتك ذهب
انت تحكي.. وانا فضة حكيك اسحبه
يكفي اني اشوفك سهل لكن صعب
يكفي انك سؤال؟ وجيت دون اجوبه
انت مثل النخيل تحب تعطي رطب
تعطي الناس لكن ما تذوق «رطبه»
والله انك عجيب.. وما يزيدك عجب
انك انسان مخلوق ومعه كوكبه
يعني انته ف كوكب ارض جيت بسبب
الله اللي جعل فيك الشعر موهبه
انت فيك الحسب من اصل جد النسب
يعني فيك الثقافة قطب في لولبه
فيك حجان تتمنى يجيلك غضب
لجل تحضن بعضها في بعض معجبه
شل فاسك/ واذا حصلت غيري حطب
رافق الله عليك بدون ذنب احطبه!

عامر الحوسني